وعلى الجوارح وعلى الصفات من النحو والصفار والغشية والرعد والبكاء وكف
الجوارح عن المعاصي وتقييدها بالطاعة وقمع الشهوات وتكدرت اللذات فيصير
المعاصي المحبوبة عنده مكروهة ويحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة
وترك الاختيار المذمومة ولا يكون له شغل الا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة
وقد ذكرنا في باب الكمال ان الامن من مكر الله واليأس من رحمته كفر فمن لم يكن خوفه
من الله وقع في الامن ومن لم يكن له رجاء وقع في اليأس ولذلك المبالغة والافراط
في الخوف او في الرجاء مذمومة لانه يخرج الى القنوط او الى المرض والموت وفي افراط الخوف
والى الامن والاسترسال في الشهوات والاغترار وفي افراط الرجاء والاصلح ان يعتدل
رجاءه وخوفه وكذلك قيل يوزن رجاء المؤمن وخوفه لا عتدلا ولكن ما كان الغالب
على قلبه الامن من مكر الله والاغترار به فالخوف افضل بمعنى رجحان الخوف وكذا اذا
كان الغالب على قلبه هو اليأس والقنوط من الرحمة فالرجاء افضل وكذا اذا كان الغالب
على العبد المعصية فالخوف افضل واكثر الخلق الخوف لهم اصلح من الرجاء وذلك لاجل غلبة
المعاصي واما للمتقي فالافضل ان يعتدلا وقال بعضهم ما دام العبد يكون في الحيوة
فالافضل ان يكون خوفه غالبا على رجائه واما عند الموت فالافضل غلبة الرجا
وحسن الظن بالله تعالى واما حقيقة الخوف اعلم ان الخوف هو ألم القلب بتوقع مكروه
مستقبل هذا من قبيل الخواطر وهذا ليس في اختيار العبد وانما المقدور للعبد مقدمات
الخوف ومقدماته اربعة ذكرا لذنوب الكثيرة التي سبقت وكثرة الخصوم الذين مضوا
مظالم العباد وانت مرتهن لم يتبين لك الخلاص بعد والثانية ذكر شدة عقوبة الله
تعالى التي لا تطاق بها والثالث ذكر ضعف نفسك عن احتمالها والرابعة ذكر قدرة الله
تعالى عليك متى شاء واما الرجاء فهو ابتهاج القلب بمعرفة فضل الله تعالى واسعة واحه
السعة رحمة الله تعالى وهذا من جملة الخواطر غير مقدور للعبد والمقدور ذكر
سببه وتذكر فضل الله تعالى وسعة رحمته وفرط شفقته والرجاء فرض للعبد
اذا لم يكن له سبيل الى الامتناع عن اليأس لانه والامن فعل وانما يسمى رجاء اذا وجد

اسبابه والاقاسم المزور والحمق اصدق عليه وعلى المجهول اسم التمني اصدق وبقا
رجاء العبد المغترة بوجاء صاحب الزرع فان الدنيا مزرعة الآخرة والقلب كالارض
والايمان كالبذر والطاعة لتقليبها وتطهيرها وسقيها والقلب المستترة بالدنيا
كالارض السبخة وانما يحمد رجاء الزارع اذا بذل جهده في عناية اسبابه واليه
اشار هم بقوله الاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله تعالى قال الله تعالى
ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله
تعالى اي يستحقون ان يرجوا فينبغي للعبد ان ينظر قارة الى سعة رحمة الله تعالى
وكثرة فضله وغاية جوده وتارة الى عظيم سياسته وكثرة هيبته ودقة امره
وغاية المناقشة فيأخذ من هذا بعضا ومن هذا بعضا فتركب بينهما طريقا وسطا
ليسلم من اليأس والامن والخوف اما عذاب الله تعالى فهو خوف عموم الخلق وهو حاصل
باصل الايمان بالجنة والنار وضعف خوف العذاب بسبب ضعف الايمان والغفلة
واذالة هذا الضعف انما هو بالوعظ والتذكير وملازمة الفكر في اهوال القيمة
واصناف العذاب في الآخرة وبالنظر الى الخائفين مشاهدة او الا بالسماع واما الخوف
من الله تعالى في ذاته فهو خوف العلماء وارباب القلوب والعارفين بصفاته بما يقتضي
الهيبة والخوف والحذر واليه الاشارة بقوله ويحذركم الله نفسه وقوله واتقوا
الله حق تقاته وهذا هو على الخوف وهو خوف المحبين من الله تعالى قال ذو النون خوف
النار عند خوف الفراق كقطرة قطرت في بحر لجي وهذه خشية العلماء ولعموم المؤمنين
حظ من هذه الخشية ولكن هو بمجرد التقليد يضاهي خوف الصبي من الحية تقليدا
لابيه فالارجح يضعف هذا الخوف المقلد ويزول عن قريب الا اذا قويت بمشاهدة
اسبابه المؤكدة على الدوام وبالمواظبة على مقتضاها في تكثير الطاعات والجسارة
المعاصي مدة طويلة على الاستمرار ولا يأمن كان ايمانه وخوفه بالتقليد لا
بالعيان والمشاهدة بعين القلب اذ بعالج قلبه ونفسه باسماء الاخبار والآثار
التي وردت في ذم الخوف ويطالع احوال الخائفين واقوالهم ولا ينسب عقولهم ومتابعهم

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)